الآداب
المجلد: 25، العدد: 01، ديسمبر 2025
الصفحات: 112 – 127
ISSN 1111 –4908 EISSN 2588 –2228

# تجليات الخطاب ما بعد الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي

# Manifestations of Post-colonial Discourse in Ezzedine Jalouji's Novel The Embrace of Snakes

**د. دربالي وهيبة**
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة–الجزائر، derbali.wahiba91@gmail.com

**تاريخ الإرسال:** 2025/08/15 **تاريخ القبول:** 2025/10/01 **تاريخ النشر:** 2025/12/11

**ملخص:**

شهدت الجزائر أبرز حدث تاريخي هام، وهو الثورة التحريرية، وبرزت أصداؤها في الأدبين الجزائري والعربي وجرى التغني بالثورة الجزائرية في مجالات الروايات والمسرح والشعر.. الخ، ومن الروايات الجزائرية تميَّزت رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي بتوظيف الذاكرة التاريخية لتفكيك الخطاب الكولونيالي الفرنسي واستخدم الروائي أساليب مقاومة الخطاب الكولونيالي في روايته.

وتكمن نتائج الموضوع في معرفة أهمية حضور الذاكرة التاريخية في رواية عناق الأفاعي، وأثرها في تعزيز القيم الوطنية لدى الجزائريين، وتقوية الشعور بالانتماء لديهم، وبهذا يكون استدعاء الأحداث التاريخية لدى الكاتب لهدف تفكيك الخطاب الاستعماري، والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية.

***كلمات مفتاحية:*** *الخطاب؛ ما بعد الكولونيالي؛ الرواية؛ الثورة؛ التاريخ الجزائري.*

**Abstract:**

Algeria witnessed a significant historical event which is the liberation revolution that its repercussions were felt in both Algerian and Arab literature. The Algerian revolution was celebrated in novels, theater, and poetry. Among Algerian novels, Azzedine Djellaouji's *The Embrace of Snakes* that stands out for its use of historical memory to deconstruct French colonial discourse. The novelist employed methods of resisting colonial discourse in his novel.

The results of this study lie in understanding the importance of historical memory in *The Embrace of Snakes* and its impact on reinforcing national values among Algerians and strengthening their sense of belonging. Thus, the author's

**المؤلف المراسل: وهيبة دربالي**

invocation of historical events serves the purpose of deconstructing colonial discourse and preserving Algerian national identity.
***Keywords:*** *Discourse Postcolonial; novel; revolution; Algerian history.*

**مقدمة:**

تعد الجزائر أعرق بلد عربي احتضن الحضارات، وشهد العديد من الأحداث الهامة، ومن أبرزها الثورة التحريرية، وحولها كُتبت العديد من الروايات التاريخية، ومنها رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي، الذي استلهم التاريخ الجزائري، وأعاد كتابته بطريقة فنية، وتميز بأسلوب كتابته للرواية التاريخية، وقام جلاوجي باستدعاء الذاكرة التاريخية لغاية تفكيك الخطاب الكولونيالي الفرنسي، وهذا الحديث قادنا إلى البحث في إشكالية مقاومة الخطاب الاستعماري، وعليه نطرح الإشكال الآتي: كيف تجلى الخطاب ما بعد الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي؟ وهل وُفق عز الدين جلاوجي في تفكيك الخطاب الكولونيالي؟

سنبحث في أساليب مقاومة الخطاب الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي، ولمعالجة الإشكالية نقوم بتوظيف المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة ببعض آليات المنهج السيميائي، وتكمن أهداف البحث في معرفة أهمية حضور الذاكرة التاريخية في رواية عناق الأفاعي، وأثرها في تكريس القيم الوطنية لدى الجزائريين.

والفرضية المقدمة هنا هي أن إعادة كتابة التاريخ تعد من الأساليب الهامة لمقاومة الخطاب الاستعماري، ومن الدراسات السابقة للموضوع نذكر: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف لمحمد بوعزة، والهوية العربية لبرهان زريق، والهوية والنص السردي لمخلوف عامر، والرواية وتأمل التاريخ لفيصل دراج غير أن تلك الدراسات لم تتناول الموضوع بالطريقة التي سنعمد إليها.

**1. تحديد مفاهيم المصطلحات:** سنقوم بتحديد مفاهيم المصطلحات الهامة، التي لها علاقة بموضوعنا

**1.1 مفهوم الذاكرة الوطنية:**

في البداية نقوم بتعريف الذاكرة mémoire إنَّه من المتفق عليه عند الدارسين أن "الذاكرة قوة عقلية قادرة على الاحتفاظ بالأحداث الغابرة، وعلى إحضارها للمرء عند الاقتضاء، ووقف رجال الفن من الذاكرة موقفين متناقضين الأول يقول إنها الأساس في كل إنتاج، مهما كان حظه من الإبداع، لأن

تراكمها وخبراتها المتتابعة يتفجر خلال القلم...والثاني يذهب إلى أن الذاكرة بما تحمله من أثقال الماضي والحاضر، تُعطل في الفنان أصالته، وتشوه ذاتيته، وتحول بين فطرته والابتكار الخلاق"[1].

تعد الذاكرة ظاهرة عقلية ومادية في وقت واحد، وهي مكان تخزين المعلومات، والذاكرة مصدر الإبداع لدى الفنان، غير أن هناك من يرى خلاف ذلك، بأن الذاكرة تقيد التجديد؛ لأنها وليدة الأفكار السابقة، وعلى العموم من وظائف الذاكرة الوعي بالهوية الشخصية الوطنية "وبهذا المعنى تتداخل الذاكرة مع المخيلة، ويصبح متعذرًا التمييز التام بينهما، كلاهما يتمثل في التفكير بالأشياء في غيابها"[2].

يحصل تداخل الذاكرة مع المخيلة، فينتج أدب وطني، وإن الذاكرة الوطنية هي أحد أشكال الذاكرة المجتمعية

وتصنعها المجتمعات خلال تطورها، ويكون استحضار الذاكرة الوطنية لتعزيز الروابط بين أفراد المجتمع.

### 2.1 مفهوم الخطاب الكولونيالي– Coloniale Littérature:

يتجلى الخطاب الكولونيالي في الأدب الاستعماري الذي يضم "مجموع الأعمال، التي هي وليدة التوسع الاستعماري الأوروبي في القرنين 19 و20...ويُمكن إقامة هذا الأدب على الوظيفة إيديولوجية فالرواية الاستعمارية تُقدم صورة المستعمر لغايات تسويقية، لكنها تُعلق التحليل"[3].

إن الخطاب ما بعد الكولونيالي مضاد للخطاب الاستعماري، وهدفه تفكيك ذلك الخطاب عن طريق الكتابة الأدبية، وسعت الرواية ما بعد الكولونيالية إلى كشف زيف المستعمر، ونقض مخططاته الاستعمارية. الأحداث التاريخية الكبيرة بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية"[4].

## 2. تمثلات الذاكرة الوطنية في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي:

استلهام جلاوجي الذاكرة الوطنية في رواية عناق الأفاعي، وسنتعرض للحديث عن تجليات الذاكرة الوطنية في رواية عناق الأفاعي على مستويات عديدة من الرواية بداية من العنوان:

### 1.2 تجليات الذاكرة التاريخية في عنوان الرواية "عناق الأفاعي":

جاء عنوان الرواية موسومًا بـ"عناق الأفاعي"، وحمل دلالة ضمنية سيئة، فكلمة عناق توحي بالمحبة والأفاعي لا تعانق، والعناق حصل بين فرنسا والخونة من الجزائريين بغية المصلحة، فأُخرج العنوان من طابعه

التقليدي الذي هو مجرد عتبة نصية تكشف عن مضمون النص بسهولة ووضوح، وجاء العنوان مليئًا بالإيحاء.

## 2.2 طرق استلهام الذاكرة التاريخية في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي:

هناك طريقتان لحضور الذاكرة الوطنية في رواية عناق الأفاعي، وهما:

أ-الاستلهام الكلي للذاكرة التاريخية في رواية عناق الأفاعي:

يكون الاستلهام الكلي للأحداث بتوظيف الروائي الحدث التاريخي كما هو في الواقع، وفي استدعاء التاريخ في الرواية أحاك به جلاوجي إبداعه في قالب روائي فني، واقتبس جلاوجي العديد من الأحداث التاريخية، من الثورة التحريرية، ونذكر منها مايلي:

- حدث الاحتلال الاسباني لوهران:

دخل الاحتلال الاسباني الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، واحتل مدينة وهران "وقد حدث كل ذلك بسهولة بعد التسهيلات، التي قدمها للأسبان الخائن اليهودي 'ستورا'، وهو أحد أبناء وهران"[5].

حصل احتلال مدينة وهران من طرف الإسبان بمساعدة 'ستورا'، الذي كان يقطن بمدينة وهران من خلال المعلومات التي قدمها للأسبان، ويعد الاحتلال الاسباني لوهران أبرز حدث سرده الروائي جلاوجي، وذكر خيانة اليهود للجزائر آنذاك، غير أن الاحتلال الاسباني لم يكن ببشاعة وفضاعة الاحتلال الفرنسي.

- مجزرة جامع كتشاوة:

كشفت رواية عناق الأفاعي عن فضاعت الاحتلال الفرنسي، وسرد لنا الراوي مجزرة جامع كتشاوة بتفاصيلها "واستيقظ الدوق دو روفيغو باكرًا، ليس لأن له موعدًا اليوم مع تحويل جامع كتشاوة إلى كاتدرائية مسيحية ...وتناهى إلى أبصار بعضهم مشاهد الدم والقتل، الذي تم ببرودة ضمير، وامتزجت داخل الجامع صيحات التهليل والتكبير وبكاء الأطفال وبعض النساء، وتحركت أرتال من العساكر مشهرة بنادقها باتجاه الجامع".[6]

لا يتوقف عدوان الاحتلال الفرنسي على تلك المجزرة، فهناك الكثير من المجازر، التي ارتكبها في حق الجزائريين، وما زاد من وقاحة المحتل الفرنسي هو تحويل المساجد إلى كنائس.

- مقاومة أحمد باي:

تعد مقاومة أحمد باي من بدايات المقاومات الشعبية الجزائرية ضد الاحتلال "وكان أحمد باي في كل مكان بكل ما يملك من عنفوان يصيح في الجميع، يحدد الميدان، ونوع السلاح، وزمن المواجهة، وطريقتها كأنما كان يخشى انفلات الأمور من يديه، لكن قسنطينة سقطت في يد غاصبيها...ورحل أحمد باي نحو أخواله في الجنوب، ونحو جبال الأوراس الشامخة يشحن كل القبائل على مواصلة التصدي للغاصبين".[7]

لم يستسلم أحمد باي للفرنسيين، بل توجه إلى الصحراء عند أخواله، وإلى جبال الأوراس يبث في الجميع روح المقاومة، والسعي إلى الجهاد، والتصدي للعدو الغاشم، وسعى أحمد باي لمقاومة الاحتلال الفرنسي بكل الطرق، وكله عزيمة في الدفاع عن وطنه، وهو رمز للبطل الشجاع.

- مقاومة الأمير عبد القادر:

دامت مقاومة الأمير عبد القادر سنوات عديدة، وتمت مبايعته في معسكر "وأسرع الشيخ محي الدين ينزع عنه برنسه، ويلبسه ابنه عبد القادر ثم يعانقه مبايعًا، واندفع من كان حوله يعانقه"[8].

دَّل لبس البرنوس على السيادة، ومن لبسه يكون زعيمًا على قومه مثلما فعل الأمير عبد القادر وشهدت المقاومة الشعبية الجزائرية تنظيمًا من طرف الأمير، الذي وحد الصفوف لمواجهة المستعمر الفرنسي.

### 3.2 الاستلهام الجزئي للذاكرة التاريخية في رواية عناق الأفاعي:

استلهم جلاوجي الذاكرة التاريخية بشكل جزئي تخيلي، وفي تخيله للأحداث البسيطة التي لها سياقها الفني نحو قاطعت زنوبيا شامخة قائلة: "إنها معركتنا جميعًا، لن ندعك وحدك، سنقف معك جميعًا".[9]

دّل اسم زنوبيا على ملكة تمر في سوريا حيث كانت رمزًا للشجاعة والفروسية، وتعمد الروائي ذكره إلى جانب شامخة، الذي يدل على الرفعة والشهامة وعزة النفس، ولقد واجهت أبطال الرواية الاستعمار الفرنسي رغم بساطة أسلوب عيشهم، وكلهم عزيمة في القضاء على العدو الظالم "أسرع محمد الحوات يقول بحماس: 'لا حل لنا إلا أن ننضم جميعًا إلى الأشباح هؤلاء الفرنجة لايركعون إلا أمام القوة، انكسار المقاومة المنظمة لايعني الاستسلام، لابد أن ننتقل إلى المقاومة الشعبية"[10].

صوَّر جلاوجي أبطاله في عزيمة نحو المقاومة رغم الفشل، واتضح لهم بأن المقاومة هي السبيل الوحيد للخلاص من الاستعمار الفرنسي، وهنا نرى تفاؤل الروائي في قول نانا لشامخة "أنت فارسة شجاعة ذات مواهب خارقة في التخفي وتقمص الأدوار، تبسمت شامخة وقالت:-وإلى متى يانانا نتخفى؟"[11].

تمحورت معظم أحداث الرواية حول شخصية شامخة، وتستمر تلك الأحداث وفيها الكثير من الأشياء التخيلية حيث تنتقل وتبدأ رحلتها على ظهر حصانها الذي كان يفهم ما تريده دون أن تتكلم، وتطورت الأحداث وأصبحت شامخة في خطر، فكان يجب عليها المغادرة والتخفي، ولكنها رفضت ذلك لشجاعتها "واستلت شامخة سيف ذو الفقار، وقدمته لعلي قائلة:-علي ذو الفقار هدية إليك.. أنت أمير آل القلعي وأمير هذه الأرض جميعًا"[12].

إن سيف ذو الفقار حمل دلالة عميقة عند المسلمين، فهو سيف الحق والعدل، وكون شامخة تملكه، فمعنى أنها صاحبة الحق، وأعطته لعلي، الذي ذكرنا بسيدنا على شهيد الحق، ومثلت شامخة تراث الجزائر وعاداتها وتقاليدها ومكتسباتها من خلال ما تتصف به كبطلة رمزية في الرواية.

## 4.2 توظيف الذاكرة المكانية في رواية عناق الأفاعي:

تطرق جلاوجي لوصف بعض الأماكن التي خلدت تاريخ الجزائر، فأصبحت رمزًا للمقاومة الوطنية التي وقعت "ولهذا الغرض سيقيم ممثلو الأمير في وهران ومستغانم وأرزيو، ولمنع الصدام بين الفرنسيين والعرب سيقيم الضباط الفرنسيون في مدينة معسكر"[13].

تعمد الروائي ذكر الولايات الآتية: وهران ومستغانم ومعسكر، وهي مناطق في الغرب الجزائري، وبداية المقاومة الشعبية كانت من تلك المناطق، وأعطى جلاوجي التاريخ الثوري بعدًا روحيًا، وتجلى ذلك في حديث الشيخ "أسرع الشيخ محي الدين يرد:-انتصر جدي صلى الله عليك وسلم على فلول من قبائل متفرقة في الصحراء، ثم لم ينتصر على دولتي الروم والفرس حتى أقام دولة وجيشًا"[14].

وهنا لاحظنا تركيز الروائي على الأماكن الثورية لمالها من رمزية لدى الجزائريين، وتعزز حضور الذاكرة المكانية في نفوسهم، وخصوصًا المرتبطة بالمقدسات الإسلامية، وأبو حمزة القرطبي في سياق حديثه ختم قائلًا: - هذا الجامع تاريخنا، ضياعه يعني ضياعنا، ضياع ما تبقى فينا من شرف إن تبقى لنا شرف"[15].

وظف الروائي الذاكرة المكانية، وتجلى ذلك في المسجد لما حمله دلالة دينية عميقة في نفوس الجزائريين فهو رمز للإسلام ومصدر هوية للجزائريين، فالشخصية الجزائرية تشكلت في المساجد؛ لأن الكنائس أسستها فرنسا لخدمة مصالحها.

## 5.2 تجليات الخطاب ما بعد الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي:

برزت الهوية الوطنية في الرواية من خلال الأحداث والشخصيات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي:

أ-معالم الخطاب ما بعد الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي:

كان هدف جلاوجي من توظيف التراث الثقافي الجزائري هو نقض التواجد الثقافي الفرنسي، وتمثلت الهوية الوطنية الجزائرية على وجه الخصوص في العروبة والإسلام "وتم طمس النقوش والزخرفات، التي كانت تغرد في كل زاوية، مفصحة عن الانتماء العربي الإسلامي"[16].

برزت مظاهر الدين في وصف الشعائر الإسلامية في رواية عناق الأفاعي، وتعمد الروائي عرضها، ليقول بأن الهوية الوطنية الإسلامية هي التي شكلت الذات الجزائرية، وهنا نقول بأن "الهوية الوطنية لا تسمح بالمساومة، وغير قابلة للتفاوض إنَّها تخص النوع الإنساني، وتحيل ''نحن'' على الأنا الجماعي"[17].

تجلى البعد الوطني في الشخصيات الوطنية، التي من خلالها أبرز الروائي مقاومة سياسة الاستعمار الفرنسي والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية "وهذه الصورة الجديدة للآخر المتولدة عن الخطاب الجديد سواء أتعلقت بالإقطاعي أم بالبرجوازي وريث المستعمر أم بفئة الفرنسيين، الذين انحازوا إلى الثورة ستأخذ مداها في الكتابة الروائية"[18].

من اللافت للنظر أن العديد من النصوص الأدبية الجزائرية تناولت قضية التفاوت الطبقي والثقافي في المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، فصورت حياة المعمرين المترفة، وفي المقابل عاش الشعب الجزائري في الفقر المدقع، وجسَّد الروائي "صورة الآخر بوصفه عدوًا صريحًا، فهي موروثة منذ الحروب الصليبية، فلم يكن الاستعمار الحديث إلا حلقة في الحروب الصليبية، فلم يتوقف عند السيطرة على الأماكن المقدسة، بل تعداها إلى اكتساح ما أمكنه من الأراضي، ونهب خيرات البلدان المغلوبة"[19].

كان الحديث عن الهوية الوطنية باستحضار الآخر، وتجلت مظاهر الهوية في السرد، ووضحت الوظيفة الخطابية دور السرد "في بناء الاستراتيجيات المضادة (الإزاحة) حيث يشتغل السرد بوصفه مسرحة للقضاء الاجتماعي يدور فيه صراع القوة يفرض تمثيلاته وسردياته على الآخر ينهض في مواجهته خطاب مضاد ينزع إلى التحرر من إطار التمثيلات السيئة، وذلك بإعادة امتلاك قوة التمثيل، التي تتيح له بناء سرديات بديلة، تكمن أهميتها الجذرية في تفكيك أسس السرد الإمبراطوري، وتقويض منطق حبكته الكولونيالية"[20].

اضطلع جلاوجي في سرده بتفكيك الخطاب الكولونيالي، الذي فرضه الاستعمار الفرنسي، وهنا أظهر مقدرته على سرد التاريخ، واستحضار الأحداث الثورية التي ترسخ الهوية الوطنية في نفوس القراء الجزائريين.

### 6.2 الشخصيات الوطنية المقاومة:

برز الصراع الحضاري بين شخصيات المقاومة والعدو في رواية عناق الأفاعي، ونتطرق لعرض أهم الشخصيات الوطنية والمناهضة في رواية عناق الأفاعي، ومنها نذكر مايلي:

●شخصية شامخة: هي ابنة آل القلعي المكحالجي الثورية "واكتفت شامخة، التي كانت تصغر أخاها بأربع سنوات كاملة ببطولتها داخل ذاتها، وقد كانت أميل إلى العلم والفن أول الأمر، ثم تعلق قلبها بالفروسية"[21].

دَّل اسم البطلة شامخة على الشموخ والرفعة، والروائي قصد ذلك الاسم لبطلته المحورية، بتصرفاتها وأفعالها البطولية "كوهين والأشقر أضعف، من أن ينازلا شامخة...ولم تجد شامخة في تلك اللحظة إلا خنجرها تستله من حزامها، وترمي به ليستقر في قلب مدبب الأنف، دوت صيحته تشق سكون السفح"[22].

تعد شخصية شامخة من وحي الخيال في بناء العمل السردي، فهي شجاعة أمام الأعداء، وقامت أحداث الرواية على الشخصية الرئيسية شامخة، وساعدتها شخصيات أخرى في مشوارها النضالي "وتقاتل شامخة أفضل من كثير من الفرسان، ومغامراتها وهي تضرب في الأرض مثار دهشة وتعجب، يعجز أمامها حتى أقوى وأشجع الفرسان، ليت نساءنا جميعًا كشامخة"[23].

حملت شامخة راية المقاومة، وجسدت شخصيتها رمزية الثورة الجزائرية، واختار جلاوجي شامخة لتكون رمزًا للمرأة المقاومة الجزائرية، ورمزًا للصمود الشعبي، وتحديه للواقع المؤلم ورفضه للمستعمر، فحملت معها فكرة الحرية وانتقلت بها في جو تخيل للأحداث، منطلقة في الجزائر في رحلة طويلة باحثة عن أخيها شامخ وكانت مطاردة من طرف الأشقر الفرنسي، الذي لم يستطع النيل منها رغم قوته، وهذا يدل على نوع من التخييل، فالرواية رغم أنها تسرد حدثًا عظيمًا، إلا أنَّه لا يخلو من الأسلوب التخييلي لبعض الأحداث التاريخية لتحيك لونًا فنيًا.

●شخصية شامخ: إن اسم شامخ هو الأخ الأكبر لشامخة "ارتعشت شامخة، وهي تراه، اضطربت قليلًا في مكانها، وصاحت: –شامخ، أخي شامخ ...طوقها شامخ مرة أخرى واحتضنها بقوة"[24].

جسَّد شامخ صورة البطل الذي حمل في داخله حبه لأخته وللجزائر، والمقاومة من أجل الاستقلال وشامخ اسم على مسمى، فهو بطل شجاع، وقال شامخ: "كنت قد اتخذت لنفسي اسمًا جديدًا هو

حسين المكحالجي حتى لا يتم التعرف علي، رغم أن الناس كانوا قد أطلقوا عليَّ اسم الشبح كان وجودنا وجهادنا في البيضاء مقلقا ومؤلما للاحتلال بعد أن انتقلنا من المقاومة البحرية إلى حرب الصعاليك"[25].

تمثلت مهمة شامخ في مقاومة المستعمر، وبث الرعب فيه، فنسجت حوله القصص والبطولات، بما قام به لإفزاع الفرنسيين، وتغلبه على العقبات رغم مآسيه "جنح شامخ إلى عالم البحار، وأوغل فيه كلية بعد وفاة والدة رغم محاولات والدته"[26].

جاءت شخصية شامخ لتُكمل دور شامخة، وتخطيه للأحداث والتغلب على كل العقبات دون أي ضرر من بداية الأحداث، وظهر شامخ كرمز لشموخ الجزائر، وبطل من أبطال المقاومة.

●شخصية الأدهم: دّل اسم الأدهم على القوة والفروسية، والأدهم كان ملازمًا لأخويين شامخ وشامخة "والتفتت إليه شامخة بحزن وقالت: أحست كأن الأدهم أحس بقرب شامخ فغدا، أدرك أنه يفهم ويحس ويتشمم، عاش مع شامخ سنوات قبل أن يختفي"[27].

جسد الأدهم شخصية الصديق الوفي والمساعد، وهو رفيق النضال، ومقرب من شامخ وشامخة.

●شخصية الدرويش: دَّل اسم الدرويش على الفقير والمسكين والوحيد، وهو رجل فاقد لعقله ومحب للثوار "قالت شامخة في حيرة: ‘‘تبسم الدرويش، وهو يلوك حبات تمر جاف، وقال – لم أكن في معسكر مولانا الأمير عبد القادر فك الله أسره إلا مكلفا مهمة"[28].

مثلث شخصية الدرويش دور الوسيط الذي تنتقل به الأحداث في الأماكن التي انتقلت إليها المقاومة.

ومنه نستطيع القول من خلال تلك الشخصيات الوطنية الفاعلة أنها صوَّرت بحق مشاهد البطولة الثورية وإن القارئ في أكثر من موضع عثر على إحساس الوطنية لدى الشخصيات، وكان حضورها بقوة في رواية عناق الأفاعي لكون موضوع الرواية وطني، بخلاف شخصيات العدو الفرنسي فهي قليلة، ومنه استلهم جلاوجي موضوعه من الثورة التحريرية والكتابات الموثقة لها، وأعاد كتابة التاريخ الجزائري وفق رؤيته الخاصة، ومنه إذن قدَّم عز الدين جلاوجي شخصيات رمزية ذات توجه وطني في رواية عناق الأفاعي.

## 3. أثر استدعاء الذاكرة الوطنية في تفكيك الخطاب الكولونيالي في رواية عناق الأفاعي:

أثرت الذاكرة الوطنية في نقض خطاب المستعمر في رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي من خلال إعادة الكتابة، واستحضار الأحداث الثورية:

### 1.3 مظاهر المقاومة للخطاب الكولونيالي:

تجلت الهوية التاريخية في رواية عناق الأفاعي في المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي لسنوات طويلة "ولم تقتصر المقاومة على المجال العسكري، فكان الأمير عبد القادر وغيرة ممن يحرسون التراث يولون مسألة التثقيف أهمية قصوى"[29].

اتضح بأن الهوية مرتبطة بمجموعة من العناصر هي الدين واللغة والتاريخ والعرق، وأعاد جلاوجي تمثيل الهوية الجزائرية، ففي روايته عناق الأفاعي قامت الشخصيات الوطنية بمقاومة الاحتلال، وأعاد كتابة التاريخ الثوري رغم صعوبة معالجة ذلك الموضوع، ولاحظنا أنه أشار أداء السرد إلى موضع الصراع على الهوية الشخصية والاجتماعية بدلًا من الإشارة إلى أفعال الذات لها جوهر يوحي الأداء السردي للهوية.

اعتمد الروائي على توظيف المادة التاريخية، بإنتاج نص روائي جديد، وهذا ماتجلى في رواية عناق الأفاعي، وقد مزَّج جلاوجي بين التاريخ الواقعي والمتخيل الذهني في حقبة زمنية من معاناة الجزائر، وسقوط الدولة العثمانية وبداية الاحتلال الفرنسي، ومعاملة الجنود الفرنسيين السيئة للجزائريين، قال الأمير عبد القادر "-أيها الإخوان، إنما نحارب من حاربنا، ونحارب من خاننا"[30].

إن تصوير الأحداث بحلوها ومرها، يعود للتاريخ الجزائري الذي يصب الإمساك بخيوطه الرفيعة، فالرواية حاولت أن تستحضر الماضي وتوظيفه بشكل مختلف، فالرواية عمدت إلى تقديم الواقع التاريخي بشكل فني وجمالي، فغرفت من التراث والتاريخ، وذلك لتجاوز المألوف، وهذا ما عرفت به الرواية الجزائرية المعاصرة، ولقد سردت الرواية من خلال صفحاتها هذه الفترة التاريخية الحساسة، ومن طرق الاستلهام الكلي للذاكرة الوطنية الالتزام بتوظيف الكلي للمادة التاريخية نذكر حضور السرد التاريخي على لسان أبي حمزة القرطبي في قوله: "فالصراع بين الضفتين يمتد إلى عشرات القرون منذ الكنعانيين والفينيقيين والعرب الفاتحين، وهم يسقطون أسطورة روما الصليبية على يد القادة الأفذاذ.. والتاريخ لايتوقف عند من ذكرت؛ لأنه لايمكن أن يُنسى الريس عروج وأخاه خير الدين، ولاينسى تضحياتهما الجسام لحماية أرض الإسلام"[31].

تحدث القرطبي عن الصراع الحضاري بين العرب والغرب، وهنا تذكير بحتمية المقاومة من طرف العرب لكل الهجمات الصليبية، ويُعد التاريخ ركيزة أساسية، يسرد من خلالها الكاتب إبداعه الروائي، ويصوغه في قالب فني، ووفق جلاوجي في استثمار الأحداث التاريخية بطريقة فنية، وذكر جلاوجي رموزًا تاريخية كثيرة من قادة جزائريين مثل الأمير عبد القادر، أو قادة أتراك مثل الريس عروج وشقيقه خير الدين، وهي كلها شخصيات تاريخية صنعت تاريخ مشرف للجزائر، وتعرض الروائي للحديث عن الصراع الحضاري بين

العالمين العربي والغربي، وهو يأمل أن يُسقط الثوار الإمبراطورية الصليبية، التي مثلتها فرنسا، وهنا نشير إلى أن الصراع بين الشرق والغرب قديم، وحضر في الوقت الحالي عبر أشكال مختلفة، وحاول جلاوجي خلال سرده تفكيك خطاب الهيمنة الفرنسية على الثقافة والدين والسياسة..، وغير ذلك "وإن حاول الاستعمار أن يقتل في الجزائر كل ما هو عربي بفصلها عن الجسم العربي، وما درى الاستعمار أن الروابط أقوى من أن تقطعها جرة قلم أو تحول دونها الحدود والسدود"[32].

جسدت رواية عناق الأفاعي كفاح الشعب الجزائري وتمسكه بأرضه، وانطلاق شرارة المقاومة وانتقالها في أرجاء الجزائر، ومعاناة الشعب من جرائم المستعمر الفرنسي، واغتصابه لهذه الأرض الطاهرة "الجزائر بلد الخيرات، والطامعون كثر، ولكني بذكائي سأرضي أكبرهم على الإطلاق، كوهين يكفيه الاستيلاء على التجارة بيننا وبين النصارى، وهو يضمن صمت اليهود"[33].

صوَّر جلاوجي الأحداث التاريخية بحلوها ومرها، وأعاد كتابة تاريخ الجزائر، وسرد الفترة التاريخية الحساسة من هيمنة الاحتلال الفرنسي على الجزائريين، ومن أبرز تجليات الهوية في رواية عناق الأفاعي لجلاوجي وصفه لمشاهد التعذيب، ومكر الاحتلال وتسلطه على الضعفاء، وحاول الروائي استحضار الأحداث، وتوظيفه بشكل مختلف، فالروائي عمد إلى تقديم الواقع التاريخي بشكل فني وجمالي، ليتجاوز المألوف، وهذا ماعرفت به الرواية الجزائرية " وإن استحضار الثورة يستدعي استحضار العدو التقليدي إلا أنه– وقد زال وجوده العسكري– سيكون له امتداده فيمن سيخلفونه"[34].

كان جلاوجي حريصًا على إظهار الهوية التاريخية في مواضع كثيرة في رواية عناق الأفاعي "عندما قاطعت نانا قول أبو حمزة القرطبي "ولكن المعاهدة حددت بالضبط الأماكن، التي يمكن أن يستولوا عليها"[35].

نجد أنه من الطبيعي ذكر أسماء من قبيل أبي حمزة القرطبي، الأمير عبد القادر، الباي احمد ..الخ، لمالها من دلالات رمزية تاريخية نعتز بها، وصنعت تاريخ الجزائر ببطولاتها .

### 2.3 الكتابة التاريخية كأسلوب مقاومة للخطاب الكولونيالي:

سعى عدد من الكتاب الجزائريين إلى توظيف الخطاب التاريخي مع السرد الروائي "بهدف المراجعة وتصحيح الخطأ أو استنطاق ماسكت عنه عبر مراحل زمنية طويلة، مما أدى إلى وقوع زلات وأزمات متتالية أثرت بلا شك في خلخلة مجموعة من قيم المنظومة الاجتماعية والأخلاقية ذات الصلة الوطيدة بماضي الفرد الجزائري ومن ثم بهويته الأصلية... وإن اهتمام الروائي بإعادة كتابة التاريخ يهيئ الفرد الجزائري

لأن يكون قويًا حتى يتسنى له مواجهة ما هو أقوى منه، ومن شروط هوية قوية التعرف على الحقيقة التاريخية لأخذ الدرس"[36].

تجلت الهوية التاريخية بقوة في رواية عناق الأفاعي، وذلك لأن موضوع الرواية هو موضوع تاريخي ومثل التاريخ موضوعًا هامًا للكاتب، وذلك من خلال استحضار الأحداث الثورية، التي وقعت إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وربطها بشخصياتها ومكانها وزمانها، ومثل التاريخ منبعًا أساسيًا لكتابة الرواية عند جلاوجي، ويعد التاريخ كذلك ركيزة أساسية للإبداع الروائي عنده، ونرى بأن المهم هو تصحيح ما سجله التاريخ من أحداث "يتمثل الآخر للأنا في واقع حاضر، يريد أن ينسحب منه مسافة لتحقيق التمايز له في ماض نموذجي يسعى للتماثل معه"[37].

اعتمد جلاوجي في كتابته لرواية عناق الأفاعي على توظيف مادة التاريخ بسردها، وذلك بإنتاج نص جديد، ومزج فيه بين التاريخ الواقعي والمتخيل في حقبة زمنية من معاناة الجزائر من سقوط الدولة العثمانية إلى فترة الاحتلال الفرنسي، ومن هنا فالبحث عن الهوية "يتمُّ بالقياس إلى الآخر لا بالعودة إلى واقع الأنا لاستشراف المستقبل، ومن هنا أيضًا تحول شعار الحرية إلى استقلال، ثم صار الاستقلال عقبة في طريق الديناميكية الثورية للأمة، كلما اشتد الصراع السياسي، كلما زاد الحديث عن الهوية، وتعود إلى الواجهة الثوابت الوطنية الإسلام والعروبة والأمازيغية"[38].

حاول الروائي استحضار الأحداث الماضية المشرفة من تاريخ الجزائر، وتوظيفه بشكل مختلف، فالروائي عمد إلى تقديم الواقع التاريخي "وإن استحضار الثورة يستدعي استحضار العدو التقليدي، إلا أنه –وقد زال وجوده العسكري– سيكون له امتداده فيمن سيخلفونه"[39].

تناولت رواية عناق الأفاعي موضوع الحركى، وهم خلفاء الاستعمار الفرنسي، والخونة من الجزائريين الذين اختاروا العدو للعمل معه، وتدمير بلدهم، ولا هوية لهم، وتتحقق الهوية في علاقة الفرد بمجتمعه وشعوره بالانتماء إليه "وتتشكل الهوية الذاتية في مجازات السرد كما تؤكد هرمنيوطيقا بول ريكور، وتكسب الأمم هوياتها الجماعية عبر قوة السرد، وفي هذه التجارب والسياقات يمثل السرد إستراتيجية خطابية أساسية بالنسبة للذات في التمثيل وصياغاتها هويتها عن طريق تأكيد اختلافات مع صور الآخر، باختلاف يأخذ أنماطًا متعددة من العلاقات شكل ديكالتيك السيد والعبد، وهندسة المركز والهامش في

الحكايـة الكولونياليـة، وشـكل السـلطة والتـابع في حكايـة السـلطة، وشـكل الألفـة (الأنـا /الأخـر) و(الآخر/الأجنبي) في الحكاية الحضارية"[40].

إن الحديث عن الهوية متبوع بذكر ثنائية(الذات/الآخر) في شكل ثنائية ضدية، لخصت الصراع الحضاري الذي غذته الحروب الصليبية، وتأسست رواية عناق الأفاعي على سرد التاريخ، وإعادة بعثه من جديد بطريقة لاتخلو من التخيلية، ومنه إذن كتب جلاوجي في روايته عناق الأفاعي التاريخ الجزائري المعاصر "الذي لم يكتبه المؤرخون، متطلعة إلى تاريخ سوي ومحتمل وحالمة بمدن تعطي الرواية قراءة مجتمعية"[41].

ومنه لقد وُفق عز الدين جلاوجي في استثمار الأحداث التاريخية بطريقة فنية، وقام بتوظيف الأحداث التاريخية الخاصة بالثورة التحريرية بطريقة إبداعية جديدة.

**خاتمة:**

وفي الأخير نخلص إلى القول بأن عز الدين جلاوجي وُفق في توظيفه للذاكرة الوطنية في تفكيك الخطاب الاستعماري في روايته، فتجلت مظاهر المقاومة من خلال سرده للإحداث التاريخية، وتناول جلاوجي الذاكرة الوطنية بأسلوب فني إبداعي، وحاول كشف صورة المستعمر الفرنسي من خلاله تعامل جنوده مع الشعب الجزائري، وتوصلنا إلى جملة من النتائج نذكرها كمايلي:

- ✓ لاحظنا تعدد تجليات الذاكرة في رواية عناق الأفاعي، فهناك الذاكرة الوطنية، والذاكرة المكانية، والذاكرة التاريخية، والذاكرة الثقافية.
- ✓ نجح الروائي في التعبير عن الأحداث الواقعية بأسلوب فني، وكان استلهامه للذاكرة بطريقتين كلية وجزئية
- ✓ لاحظنا تجليات الذاكرة على مستويات عديدة في الأحداث والشخصيات وأسمائها والأماكن، التي سارت فيها، ولقد حافظت الذاكرة الوطنية على الوحدة الوطنية للجزائريين.
- ✓ يُعد استحضار الذاكرة الوطنية أحد أهم وسائل مقاومة المستعمر.
- ✓ نستطيع القول بأن رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي هي رواية ما بعد كولونيالية أو ما بعد حضارية فتجلت فيها الذاكرة الوطنية بقوة من خلال سردية الأحداث، وحضور الشخصيات الوطنية الواقعية والمتخيلة..الخ، والمحافظة على القيم الوطنية.

ومنه إذن إنَّ للذاكرة تجليات كثيرة في السرد الروائي، ولقد وُفق عز الدين جلاوجي في تفكيك رواية عناق الأفاعي الخطاب الكولونيالي، ونؤكد على ضرورة البحث في علاقة الذاكرة بالأدب الجزائري، وتكون مهمته استقصاء تمثل الذاكرة في الأجناس الأدبية الجزائرية.

## الهوامش والإحالات:

[1]– عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت –لبنان، 1984، ص117

[2] – ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت–لبنان، 2007، ص 25

[3] – سعيد علوش: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر:، تر:كيان أحمد يحي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت–لبنان، 2019، ص169–170

[4] – جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد –العراق، 1986، ص46.

[5] – عز الدين جلاوجي: عناق الأفاعي، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021، ص272

[6] – المصدر نفسه، ص 147–149

[7] – المصدر نفسه، ص516

[8] – المصدر نفسه، ص261

[9] – المصدر نفسه، ص598

[10] – المصدر نفسه، ص143–144.

[11] – المصدر نفسه، ص160.

[12] – المصدر نفسه، 598–600

[13] – المصدر نفسه، ص298

[14] – المصدر نفسه، ص251

[15] – المصدر نفسه، ص141

[16] – المصدر نفسه، ص165

[17] – برهان زريق: الهوية العربية، ص32

[18] – مخلوف عامر:ا لهوية والنص السردي، دار القبة، بئر خادم –الجزائر، 2016، ص137

[19] – المرجع نفسه، ص13

[20] – محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف . ص59-60

[21] – عز الدين جلاوجي: عناق الأفاعي ص31

[22] – المصدر نفسه، ص600

[23] – المصدر نفسه، ص573.

[24] – المصدر نفسه، ص530.

[25] – المصدر نفسه، ص533.

[26] – المصدر نفسه، ص30.

[27] – المصدر نفسه، ص509.

[28] – المصدر نفسه، ص 519.

[29] – مخلوف عامر: الهوية والنص السردي، ص21

[30] – عز الدين جلاوجي: عناق الأفاعي، ص406

[31] – المصدر نفسه، ص145.

[32] – أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص111-112

[33] – –عز الدين جلاوجي، عناق الأفاعي، ص40.

[34] – مخلوف عامر: الهوية والنص السردي، ص136.

[35] – عز الدين جلاوجي، عناق الأفاعي، ص139.

[36] – نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر، بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ملتقى الرواية بين ضفتي المتوسط، منشورات المجلس، الجزائر، 2011، ص 153-154.

[37]– مخلوف عامر: الهوية والنص السردي، ص109.

[38] – المرجع نفسه، ص27.

[39] – المرجع نفسه، ص136.

[40] – محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ط1، منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، 1435هـ /2014م، ص16.

[41] – فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربيّة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004، ص35.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد –العراق، 1986

2. سعيد علوش: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ترجمة: كيان أحمد يحي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2019

3. عز الدين جلاوجي: عناق الأفاعي، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021.

4. عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت –لبنان، 1984

5. فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربيّة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004

6. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

7. محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ط1، منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، 1435هـ /2014م.

8. مخلوف عامر: الهوية والنص السردي، دار القبة، بئر خادم –الجزائر، 2016.

9. ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، 2007.

10. نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر، بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ملتقى الرواية بين ضفتي المتوسط، منشورات المجلس، الجزائر، 2011.